وهـــم اللاوهـــم ... الوهـــم الأكبـــر

أ.د. يحيـــى الرخـــاوي – أستـــاذ الطـب النفسـي / مصـــر

بـــريد إلكتروني: yehia_rakhawy@hotmail.com

كنت مستغرقا في قراءة هذا الكتاب «وهو مترجم بأناقة ودقة بالغتين (د. فاطمة نصر) ضمن سلسلة إصدارات «سطور». وفي نفس الوقت كنت أقوم بمهام ثلاث ارتبطت. بالصدفة. بهذا الملف الذي بين أيدينا في هذا العدد.

المهمة الأولى عن «**مفهوم أحدث للصحة النفسية**» مما دعاني إلى إعادة مواجهة الأوهام التي يروجها المخدوعون من العلماء من ضحايا شركات الدواء عن علم اسمه السعادة، والتي تسوقها مراكز أبحاث لترويج البلادة تحت عنوان الصحة، الأمر الذي يستلزم أن تُبَرمَجَ عقول الأطباء لتكون مهمتهم الأولى هي ملء خزانة تلك الشركات (الثانية بعد شركات السلاح في تسيير السياسة في العالم).

المهمة الثانية فكانت دعوة **لتطبيق «المنهج العلمي في الحياة اليومية»** حيث أعدت اكتشاف الأوهام المحيطة بتقديس كثير مما يسمى المنهج العلمي.

المهمة الثالثة فقد استلزمت **مراجعة التاريخ الأحدث** لما يسمى «**العلم المعرفي**» الذي أعلن هرطقتين متاليتين اعتبرتا تجديفا في «دين التفكير المنطقي الخطي الرمزي»، وكذلك في: «دين العقل الوصي الظاهر (الهرطقة الأولى: التفكير ليس بالرموز فحسب. والهرطقة الثانية: المعرفة ليست فقط في الدماغ. تعبير هرطقة ليس من عندي.).

هكذا وجدتني **محاصرا بعدد من الأوهام الحديثة** لم أعرف من أيها أبدأ. غير أنني فجأة نظرت في **أوهامي الشخصية**، فانتبهت إلى حقي في التمسك بها رغم كل شيء!! ما الحكاية؟ من هنا جاءت فكرة المقال.

- **الوهم، والحلم، والخيال، والإبداع**

لابد أن نفرق ابتداء بين **الاستعمال الشائع** للفظ ما، **و الاستعمال الموضوعي والاستعمال المغرض**، لنفس اللفظ.

الاستعمال الشائع لكلمة «**الوهم**» يشير إلى المعتقد أو المدرك الذي يفيد ما هو غير حقيقي، وكأننا نعرف بوضوح تعريفا جامعا مانعا لما هو «حقيقي» بما يسمح لنا أن نعد وهما ما هو «ليس كذلك». والاستعمال الشائع للفظ **الخيال** يشير إلى أنه النشاط الفكري الذي يتجاوز التفكير الذي يعرف عادة بأنه «حل المشاكل»، فالخيال ـ بصفة عامة ـ هو نشاط أشبه باللعب العقلي المتحرر من التزامات الواقع، وأيضا هو نشاط غير ملتزم بالتوجه إلى استكمال لُعِبه بالتجمع في تركيب جديد (الخيال بما هو كذلك، ليس ملزما بإكمال المسيرة إلى ما هو: إبداع).

والاستعمال الشائع للفظ «**الحلم**» يشير إلى ما يحدث أثناء النوم مما قد نلتقط بعضه عفوا قبيل اليقظة، فنصيغه ليعوضنا ما لا نجرؤ على صياغته أو مواجهته في يقظتنا الكاملة، وهو (الحلم) يقوم بإعلان بقية مواقف وجودنا (ثم إنه إذا أضيفت إليه صفة اليقظة، «حلم اليقظة» فإنه يشير إلى ضرب من الخيال.) كل ذلك يحتاج إلى مراجعة على الوجه التالي:

الوهم ليس كله ضد الواقع، ولا هو غير الحقيقي، فهو **حقيقةٌ نفسيةٌ مصنوعةٌ**، ومفيدةٌ أحياناً، بل وضرورية في كثير من الأحيان.

والخيال ليس لعبا حرا صرفا، بل هو **تخطيط بديل**، حتى لو لم ينته لتوه إلى حل لمشكلٍ أو تخليق إبداع.

والحلم ليس هو ما نحكيه بعد يقظتنا، ولا هو حلم اليقظة الخيالي. **الحلم وعي آخر**. هو واقع ممتد إلى ما بعد اللحظة الراهنة المعروفة لوعي اليقظة، ليس بغرض التأجيل في مزاعم مستقبلية، وإنما بمعنى معايشة إرهاصات استكمال مسيرة التطور والنمو. يحدث هذا في النوم، واليقظة، والثورة، والإبداع على حد سواء.

- **حق التأجيل، وحق العمى**

لا يمكن بداهة أن أتناول كل هذه المراجعات بالتفصيل في هذا الحيز المحدود، فأكتفي بأن أشير ابتداء إلى أننا يمكن أن ندافع عن الحق في الحلم، والحق في الخيال، باعتبار أن الأول «واقع آخر»، والثاني «تمهيد للإبداع»، ولكن هل يمكن أن يكون ثَم حق في الوهم؟

الإجابة هي بالإيجاب. نعم: من حق الإنسان أن يعتقد، بل ويؤمن، بغير الحقيقة، بل إنه ليس حقا فقط، بل قد يكون هو السبيل الوحيد للتوجه الجاد المثابر نحو الحقيقة. لا أحد يصل إلى الحقيقة، ولا يمكن لأحد أن يقترب منها إلا إذا مر بسلسلة من الأوهام، يفسّرها الواحد تلو الآخر، وهو يتعري بشجاعة عشاق الحياة ممن قرروا خوض تجربتها، فيقترب أكثر، كلما فسّر أوهامه المشروعة أكثر، لكنّه لا يصل أبدا إليها.

شروط الوهم الإيجابي

نحن نتكلم الآن عن مسيرة الأفراد على طريق النمو والتطور، وحقهم المشروع في الأوهام، ولا نتكلم عن تشويه الجماعات بالإيهام المصدر من متاجر الاستغلال والاستعباد والاغتراب. الوهم ضرورة نمائية للفرد في أي من مراحل نموه، وهذا شيء آخر غير الأوهام المفروضة من خارجه لأغراض مشبوهة. يكون الوهم حقا دفاعيا للفرد إذا توفرت فيه الشروط التالية:

1- أن يكون تلقائيا نابعا من احتياج الفرد في مرحلة معينة من مراحل نضجه.
2- أن يكون عائده لصالح استمرار الفرد (متكيفا مع من حوله، منتجا لاحتياجاته، مواصلا لمساره).
3- أن يكون الفرد غير واعٍ بحقيقته الأعمق (حيث جذوره هي راسخة في اللاوعي أساسا).
4- أن يكون الفرد مقتنعا هو شخصيا بحقيقة ظاهر هذا الوهم الغائر

5- أن يكون هذا الوهم احتمالا واردا عند كل، أو معظـم، النـاس الذين يمرون بمثل مرحلة النضج هذه. (6) أن يكون مرحليا، بمعنـي أن يرتبط عمره الافتراضي بأداء مهمته الدفاعية، في تلك المرحلـة فقط.

مقاومة مشروعة

لا أحد منا يريد أو يستطيع أن يتصور أنه يمكـن أن يبنـي وجـوده وتماسكه على أساس خاطئ مهما قدمنا تبريرات لذلك، خذا المثل العامي الذي يقول معناه «لو أعادوا توزيع عقول الناس فلن يقبل أحد إلا عقلـه، ولو أعادوا توزيع الأرزاق فلن يرضي أحد برزقه». هذا المثل يفيـد أن كل واحد يعتقد أنه على صواب مطلق، وبالتإلى فحين نلوح له أنـه مـن الممكن أن يكون قد أوهم نفسه، ولو بما يفيده، ولو بغيـر وعـي، فإنـه يرفض عادة، وقد يحتج ويهاجم.

الحاجة إلى الوهم

ألمحنا حالاً إلى أن مواجهة الحقيقة مستحيلة، بقـدر مـا أن الحقيقـة نفسها مقولةٌ لا تعدو أن تكون فرضا واعدا لا أكثر. من هنا يمكـن فهـم لماذا يحتاج الإنسان إلى سلسلة من الأوهام يدبر بها حاله إلى أن يحـين الحين الذي يستطيع فيه أن يتحمل أكثر فأكثر جرعات من الكشف أوضح وأقسي، أثناء سعيه في اتجاه حقيقة محتملة. هذا هو قانون النمو الأزلي. إن تاريخ الحياة كلها ليس تاريخ الصدق أو العدل أو الفكر الـسليم، إنـه تاريخ التأقلم مع المحيط. ومن هنا فإن أي وسيلة تساعد الكائن الحي على التأقلم مع محيط ما، في زمن بذاته، هي وسيلة مقبولة وجيدة حتـى لـو كانت ضد الحقيقة، أو ما نتصوره حقيقة.

إن القبول بظلامٍ مرحلي هو السبيل إلى الوصول إلى نـور نـسبي، ثـم سرعان ما نكتشف عجزنا عن الاستمرار في تحمل بهر الحقيقة، فنطفـئ بعض أنوارها بأوهام جديدة، حتى نتمكن من مزيد من الرؤيـة لاحقـا، وهكذا.

ولكن كيف يتطور الأمر من الوهم إلى التعري إلى المواجهة إلـى وهـم أرقي، وهكذا؟

...« هل يعرف أحدكُمو كيف يضل الإنسان؟ كيف يدافع عـن نفـسه، إذْ يغلق عينيه وقلبه؟ إذْ يقتل إحساسه؟ كيف يحاولُ بالحيلة تلو الأخري، أن يهرب من ذاته، ومن المعرفة الأخري، كيف يشوه وجه الفطرةْ، إذ يقتله الخوف؟ كيف يخادع أو يتراجع؟ وأخيرا يفشلُ أن يطمس وجه الحقْ.. إذْ يظهر حتما خلف حطام الزيف؟.»

هذا بعض ما كتبتُه في مقدمة محاولتي أن أرسم ما يمثل مراحل وأزمات تطور الفرد، وهو يتراوح بين العمي المشروع والرؤية المؤلمة التي قـد تحتد إلى حد المرض. كان ذلك في أطروحتى الأساسية عن «دراسة في علم السيكوباثولوجي». بالرجوع إلى نفس المتن، نجد إيضاحا أكثر لهـذا الاضطرار المبدئي للجوء إلى الوهم قبل أن يستنفد أغـراض المرحلـة فتحدث التعرية، وياهول الرؤية، ثم من جديد. يقول نفس المتن:

«مذْ كنتُ وكان الناس...، وأنا أحتالُ لكي أمضي مثل الناس، كان لزامـا أن أتشكّلْ، أن أصبح رقماً ما، ورقة شجر صفراء، لا تصلح إلا لتـساهم في أن تلقي ظلا أغبر، في إهمالٍ فوق أديم الأرض، والورقـةُ لا تتفـتح مثل الزهرةْ، تنمو بِقَدر، لا تُثْمِر، فقضاها أن تذبلْ، تسقطْ، تتحللْ، تذروها الريح بلا ذكري. كان على أن أضغط روحي حتى ينتظم الصف، فالصف المعوج خطيئة، حتى لو كانت قبلتنا هي جبلُ الذهبِ الأصـفر، أو صـنم اللفظ الأجوفْ، أو وهج الكرسي الأفخم، كان على أن أخمد روحي تحت تراب «الأمر الواقع»، أن أتعلم نفس الكلمات..، وبنفس المعني، أو حتى من غير معان» (انتهي) ثم تكون الأزمة حين يتعري جزء مـن الـوهم ليواجه الإنسان طبقةً أعمق من جوهر حقيقته، لتصل الأزمة أحياناً إلى ما قد يسمي مرضا، وإن كان ليس بالضرورة كذلك:

« ...ترتطم الأفلاك السبعةْ، يأتي الصوت الآخر همساً من بـين قبـور عِفِنَةْ،... يتصاعد.. يعلُو.. يعلُو.. كنفير النجدةْ.

وأمام بقايا الإنسان، أشلاء النفس ورائحة صديدِ الكذبِ وآثار العـدوان، تغمرني الأسئلة الحيري:

لم ينشَق الإنسان على نفسه؟ لِم يحرم حق الخطأ وحق الضعف وحـق الرحمه؟ لِم يربط عقله.. بخيوط القهر السحرية؟ يمـضي يقفـز يرقـد يصحو.. بأصابعهم خلف المسرح، ويعيـد الفـصل الأول دون سـواه، حسب الدور المنقوش، في لوحِ حجرٍ أملس، رسمته هـوام منقرضـة، فيضيع الجوهر، ويلف الثور بلا غايةْ، وصفيح الساقية الصدِئَة، يتـردد فيه فراغُ العقل، وذل القلب، وعدم الشيء...، ونـضيع؟ لكـن هـواء مثلوجاً يصفع وجهي، يوقظ عقلي الآخر، ويشل العقلَ المتخذلق، يلقـي في قلبي الوعي، بحقيقة أصل الأشياء.... يا ويحي من هول الرؤيـةْ».

المفروض أن هذه الرحلة تتكرر أثناء النمو بانتظام، خلاصـتها تقـول: «إنه بقدر ما أن الوهم ضروري، فهو مرحلي، إن كان لمسيرة النمو أن تستمر».

كل هذا على مستوي الأفراد، بعيداً عن دائرة الوعي (في اللاشـعور). هذه الدفاعات التي تبعدنا عن الحقيقة هي أقرب ما يكون إلى ما يـسمي «الحيل النفسية Mental Mechanism وميزتها (وعيبهـا أيـضا) أنهـا تحدث خلف دائرة الوعي.

لو أن أي واحد منا تعمق قليلا، بشجاعة متوسطة (لا سيما وهو نـصف يقظ) فسوف يكتشف أنه يؤمن بعدد من الأوهام لا يمكن أن يتصور أنه فعلا يعتنقها، وهو عادة لا يستطيع أن يصرح بها ولا حتى لنفسه، فهي تحفظ له ماء وجهه أمام نفسه، وقد تبرر بعض فشله، أو تهـدئ سـره، حتى تمكنه من الاستمرار إلى أن تأتي فرصة أفضل للتعـري، والألـم الإيجابي ،فالاستيعاب.

سوف أعرض فيما يلي بعض الاحتمالات التي يمكن أن يكون داخلُـك ـ مثلي عزيزي القارئ ـ يعتنقها دون أن ندري. كل ما أرجوه هو ألا تسارع بالإنكار الفوري، وحتى لو سارعتَ بهذا الإنكار الـذي هـو حقك، فأرجو أن تلاحظ أنك قد تتمادي إلى أن تقول «يجوز، قد يكـون كل الناس كذلك، إلا أنا»، لا مانع. إليك بعض المعتقدات المحتملة التـي لا يبرئ الكاتب نفسه ـ طبعا ـ من الاعتقاد فيها، وقد تبين له ذلك وهو يضبط نفسه متلبسا ببعضها أو بأغلبها، بفضل مرضاه في الأغلب:

1- كل الناس يحبونني.
2- أنا أحب كل الناس.
3- لا أحد يحبني.
4- لا أحد يراني.
5- أنا وحيد رغم كل هذا.
6- أنا مظلوم لم آخذ حقي كما ينبغي.
7- لو أتيحت لي الفرصة لكنتُ أفضل من ذلك بكثير.
8- لا أحد يحبني إلا لغرض.
9- لا أحد يريدني.
10- لا أحد يراني كما أنا.
11- لا يوجد من يعرفني على حقيقتي.
12- لا شيء يعين.
13- لا يهمني في هذا العالم إلا ما ينفعني.
14- هذا العالم مخلوق لي.
15- هذا العالم لا يصلح لي.
16- حتما.. سيتركونني ولا يعودون.«..
17- لا أحد يتألم مثل ألمي.
18- أنا وحدي الذي أعرف الحل.

19- ليس صحيحا ما يظنونه في.
20- إن رسالتي في الحياة هي إصلاح الكون ولو وحدي. (أكتفـي بهذا القدر).

[آسف عزيزي القارئ، هذا أنا ليس أنت، «جرب أنت بنفـسك، واحـدة واحدة، واكتشف من أوهامك ما تشاء، وارفضني كما تشاء.]

التفرقة واجبة

إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للفرد، وكانت مثل هـذه الأوهـام أمـر طبيعي بالشروط التي ذكرتُها حالا، (أن تكـون مفيـدة، ولا شـعورية، ومرحلية) فهل مثل ذلك يصلح للمجتمع عامة؟ بمعنى: هل تحتاج مجاميع عامة للناس في مراحل نموها المختلفة أن تعتقد في معتقـدات خاطئـة، لكنها مفيدة، وربما مرحلية، وهل تمثل الأيديولوجيات عبر التاريخ، وربما بعض الأديان (الأرضية خاصة) مثل ذلك أحياناً؟ وإذا كان الأمر كـذلك فما خطورة الأوهام الجماعية بصفة عامة، ولماذا نصر علـى المبـادرة بشجبها، ومحاولة نزع الأقنعة عنها، والاستغناء عن خـدماتها؟ بالنـسبة للمجموع دون الأفراد؟

يبدو أن الجماعات ـ ـ مثل الأفراد ـ ـ قد اخترعوا أوهامهم من واقـع احتياجهم، ومن إفرازات ثقافاتهم المختلفة عبر التاريخ، فكانت الأسـاطير التي أدت وظيفتها كأروع ما يكون، حتى حلت محلها الأساطير الحديثـة الألمع بريقا، برغم أنها أقصر قامة، وأكثر جفافا، وأكبر غرورا، بعـض هذه الأساطير الحديثة هي الأوهام المعولمة المطروحة حاليا، لكنّها بعكس الأساطير القديمة، لم تنشأ من نسيج وعي ثقافة بذاتها، ولم تنضج علـى إيقاع زمن هادئ قادر على استيعاب احتياجات وعي الناس على مستوياته المتعددة. إنها أوهام جديدة مقحمةٌ لا تتصف بأي صفة من الصفات التـي تجعلها آليات دفاعية مثلما كانت الأساطير عند أجدادنا، أو مثل الحال عند الأفراد حتى الآن.

فيما يلي محاولة لتمييز بعض الأوهام الجماعية الأحدث (تمييزهـا عـن الأوهام الفردية المشروعة):

أولاً: هي مصنوعة، وليست دفاعات تلقائية.
ثانياً: هي مفروضة من ثقافة مفتونة بذاتها، سجينة غرورها، ثقافـة لا تتميز إلا بقوة أسلحتها، وعلو صوتها.
ثالثاً: هي مدعمة بأساليب تقنية حديثة تحافظ على بقائها، بل علـى دوامها (فهي مغلقة النهاية!!).
رابعاً: هي مفروضة تخدم السلطة التي أصدرتها فقط.
خامساً: هي صادرة عن جزء محدود من الوعي البـشري (العقـل الظاهر المبرمج) دون سائر مستويات الوعي الممثلة لتاريخ التطور ونجاحات صراع البقاء.
سادساً: ثم إنها تبدو لأول وهلة حسنة المظهر والـسمعة (تتـسمى بكلمات آسرة مثل الرفاهيـة، والـوفرة، والديمقراطيـة، وحقـوق الإنسان، والسعادة!!).
سابعاً: هي نتاج عقول فردية مسخرة لغيرها، وليست نتيجة شـبكة وعي جماعي، ثقافي، حيوي، متداخل، متفاعل، حريص على بقـاء النوع وتطوره.
ثامناً: هي سريعة الإيقاع منْقَضةُ الإغارة.
تاسعاً: هي تتغذي من نفسها لنفـسها بنفـسها، فهـي تتـضاعف بالقصور الذاتي والنمو الأسي المتمادي.
عاشراً: هي تُغذي بعضها بعضا، كما أن وسائل كل منهـا تـدعم بعضها بعضا (أكاذيب الإعلام تغذي ألعاب التكنولوجيا، وعـصف المخ بالإعلان يؤجج أوهام السوق، وتعصب العلم المؤدلج يغـذي أوهام الرفاهية، وأموال شركات الدواء والسلاح، وفلـسفات نهايـة التاريخ، وأفكار صراعات الإبادة، تغذي إقفال دورات النمو كل يوم مع إقفال بورصات الأوراق المالية!!).
حادي عشر: إنها أوهام تتأبى أن، أو تراوغ حتـى لا، توضـع موضع الاختبار المناسب في الوقت المناسـب، وبالتـالي فهـي عصية على التعديل بما يسمي «المردود» Feed-Back، ممـا يثبت مضاعفاتها.

هذه التفرقة الحاسمة بين مشروعية وضرورة الوهم الفـردي الـدفاعي المرحلي، في مقابل خطورة الأوهام الجماعيـة (الكوكبيـة المؤَمركـةْ خاصة) المصنوعة المغرضة، هي شديدة الأهمية في الوقت الحاضر إذا كان لنا أن نأمل في أي خلاص من ورطة تَعملُق جـزء مـن الوجـود البشري، ومن الدماغ البشري، ومن التاريخ البشري، على حساب الكل الحيوي طولا وعرضا.

إذا كان ثم أمل فلابد أن تكون لدينا الشجاعة أن نراجع كل ما نحن فيه، وما هم فيه، وخصوصا ما يتمادي منه ذاتيا بالرغم من انتبـاه أغلـب الناس إلى مخاطره. (التكنولوجيا العمياء، والعلـم المقـدس، والإعـلام المغرض، والإغراق بالمعلومات دون تمييز... إلخ).

فضلٌ لا شكر عليه

أشعر بالامتنان الشديد لاثنين معاصرين ـ ـ خيبهمـا الله ـ ـ ـ حـين أتصور أنهما قدما لنا، على الرغم منهما ـ ـ أهم ما ينبغـي أن نلتفـت إليه، الأول هو «فوكوياما» الذي أعلن بالأصالة عن نفسه، والنيابة عن سادته أن التاريخ قد انتهي بفوز الأقوي والأثري. هذا الوهم اليقيني تـم تفعيله بشكل عارٍ حين أتيحت الفرصة للسيد دبليو أن يمارسه بفجاجـة بذكائه المتواضع، فقام بتفعيل وتعميم غطرسة القـوة ثُمـارس بأقـسي وأغبي أساليب أحادي النظرة. هذا وذاك ـ ـ عندي ـ ـ من إنـذارات الانقراض.

وهل يصح أن ننكر فضل من أطلق صفارة الإنذار حتى لو لم يقصد؟

العلم وهم مشروع، إلا إذا...

على النقيض من أوهام السياسة العاتيـة خاصـة المرتبطـة بـضحايا الحروب الغبية والاستغلال البشع، يمكن أن ننظر إلى العلم نظرتنا إلـى الأوهام الفردية باعتباره وهما مشروعا مادام قابلا للتفنيـد فالمراجعـة فالتجديد. لا يكون وهم العلم خطرا إلا حين تنقلب المعطيات العلمية إلى مقدسات لتصبح دينا متجمدا ليس أقل جمودا من تقديس أوهام التسلح مع اليقين بعدم جدوي استعمال السلاح، أو أوهام الديمقراطية مـع تـسليم مفاتيح اتخاذ القرار للقوي السرية، أو أوهام حقوق الإنسان المكتوبـة دون الممارسة، أو أوهام الحل التكنولوجي المتضاعف أُسياً في ذاته بذاته.

شعار مختزل = وهم محتمل

حين يصل الإلحاح على تقديس النظريات السياسية والاقتصادية وحتـى الفكرية إلى حد الإجماع (كما يريد المعولمون لحساب أمريكا) يتطلـب الأمر مراجعات كثيرة، وقوي مضادة عليها أن تتجمع ـ دون كلـل ـ لإنقاذ البشر من غوليات القوة والتبعية معا. إننا أحوج ما نكون إلى نقدٍ لا يتوقف عند تعرية الأوهام بل يطرح بدائل قابلة للتنفيذ. علينا أن ننتبه ألا نلقي السلة بالطفل الذي فيها. ليس معني أن نعري التكنولوجيا أننـا نريد التخلص منها أو أننا نستطيع الاستغناء عنها.

تبدأ اليقظة من التوصية بأن نعتبر أن «أي شعار مختزل: هو وهـم محتمل». خذ عندك: «العلم هو الحل»، «التكنولوجيـا هـي الحـل»، «الهندسة الوراثية هي الحل»، «الصحة النفسية هي الحل»، «الإسـلام هو الحل»، «التراث هو الحل»، «الفطرة هي الحل»،.. إلخ. بمجرد أن تسمع مثل هذه المقولات، لابد أن تمد يدك إلى سـلاح وعيـك الناقـد، استعدادا لممارسة جهاد إبداعك قبل أن يفوت الأوان. أنا لا أعرف حلا،

ولكنني أتسلم الرسالة مع تكرار مشاهدة السيد بـوش علـى الـشاشة، أو قراءة تصريحاتهم عن إرسال المدرسين الخصوصيين لتعليمنـا مبـادئ الديمقراطية والسلوك السياسي المهذب. من ذا الذي يستطيع أن يتلقى هذه الرسائل دون أن ينفخ في نفير التعبئة العامة لإنقاذ البشر؟

خاتمة

إننا أحوج ما نكون لمعرفة أن خوض تجربة الحيـاة الـذي يـسمح للأفراد أن يحتموا بأوهامهم المرحلية، هو الذي يلزم الجماعات بالإسراع بهز أوهامهم قبل أن يفوت الأوان. إن تصارع أوهام الأفراد وجدلها مـع بعضها البعض هو الذي يقوم بتصنيع نسيج الثقافة الخاصة بكل جماعـة في مرحلة تاريخية بذاتها، هذا النسيج القادر على استيعاب أوهام الأفراد لتصبح واقعا متحركا في حلٍ قابلٍ للتحقيق في صـحوة ممتـدة. لكننـي أخشي أن نستبدل بالأوهام التي يفرضها علينا من لا ينتمي إلينا وإلى البشر، أوهاما أخري أكثر تخلفا وأشد تصلبا. إننا إذا فعلنا ذلـك فـنحن ـ ـ بقصد أو بغير قصد ـ ـ نساهم في تماديهم في السيطرة والتفـوق لحساب انقراض الجنس عامة، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا مـنكم خاصة.

لا ينبغي أن يقتصر دورنا على المطالبة بحقنا في استعمال أدوات التقدم لنصنع بها ما نستطيع من وجهة نظرنا. المطلوب هو أن نتخذ نحن وهم معا موقفا نقديا من كل هذه الأدوات، والفلسفات، والتقنيات جميعا، نحن معهم في خندق واحد، خندق التهديد بانقراض النوع البشري، وقد بدأوا فعلا هذا النقد الجاد (مئات المخلصين المرعوبين من الجاري الـواعين بالمأزق (من أمثال جاك إيلول «خدعة التكنولوجيا» وجوزيـف كامبـل «سلطان الأسطورة» وجورج لاكوف «الفلـسفة فـي اللحـم الحـي») والدعوة عامة لكل البشر.

هذا هو الجهاد الأكبر.

Arabpsynet Hospitals
(Arabic Edition)

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-hosp.Ar.htm

Arabpsynet Jobs
(Arabic Edition)

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Jobs.Ar.htm

Arabpsynet Association
(Arabic Edition)

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ass.Ar.htm

Arabpsynet Dictionary
(Arabic Edition)

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Ar.htm